

بسم الله الرحمن الرحيم



عباد الله تعالى: كنت قد هيات خطبة عن حرمة تسمية يوم الجمعة -بالجمعة السوداء- والتي تصادف يوم الجمعة المقبلة (2025 / 11 / 28)، ولكن صرفني عن الموضوع وكتابة خطبة ثانية، ظاهرة بدأت تتفشى وتنتشر في المسجد، كانت سلوكاً لبعض الأفراد ولكن هذه الظاهرة تنتشر أكثر وأكثر، وهي اختلاف المسلمين عباد الإله الواحد، وأتباع النبي الواحد، وأصحاب الكتاب الواحد، لكنهم لم يجتمعوا على قبلة واحدة، تدخل للمسجد الآن وتجد المسلمين كل واحد منهم يصلي باتجاه قبلة يرضاها هو دون غيره من جماعة المسلمين، ليقول الواقع لنا: أننا فشلنا في كل شيء حتى في اجتماعنا على قبلة واحدة!!! هذه الأمة التي فشلت في الأسماء والصفات (أهل حديث وأهل كلام ومعتزلة ومجسمة) في رؤية الله تعالى (معتزلة وأهل سنة) في حقيقة الإيمان (سنة ومعتزلة وخوارج) في الخلافة والإمامة (سنة وشيعة وخوارج) في أفعال العباد (قدريّة ومعتزلة وأهل سنة) وكل واحدة من هذه الفرق انقسمت على نفسها: السنة أهل حديث وأهل الكلام منهم الأشعرية والماتريدية والقدريّة والمعتزلة والمرجئة... الشيعة ومنهم الجعفرية والزيدية والإسماعيلية والنصيرية والدروز والعلائية وغيرها... والخوارج الحنابلة والأزارقة والإباضية والنجادات والصفورية... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

نعم هذه الدنيا جُبلت على التنوع والاختلاف، فالله تعالى قد خلق الزوجين الذكر والأنثى، وجعل الليل والنهار، فمن بديع صنعه وعظيم قدرته أن خلق الأضداد، الحسن والقبيح.

الاختلاف أمر واقع لا محالة، ولا سبيل إلى محاصرته، ولا سبيل إلى القضاء عليه، فهو سنة جارية في الكون كله... وهو أنواع وأشكال وألوان، فمنه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم وشرّ وفساد كبير... فالواجب أن نميز بين الخلاف المذموم، والسائغ المقبول....

قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} هذه الوحدة لا تقتصر على زمان، ولا مكان، فهي أمة واحدة إلى آخر موحد في هذه الدنيا...

وهذا الخلاف لا يكون أبداً في قضايا التوحيد... أما الذي يكون في دائرة الأحكام والحلال والحرام، فهذا ليس بشرّ على الإطلاق، لكنه قد يكون شرّاً في بعضها إن أسيء فهمه.

الخلاف شر إذا أدى إلى التفرق في الدين، وتقسيم الأمة وشرذمتها إلى طوائف وأحزاب وجماعات، وأبشع ما يكون ذلك في المسجد، قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٥] فإذا استثمر الخلاف في تمزيق الأمة، فإنه من الشر الذي يجب توقُّيه والحذر منه.

الخلاف شر إذا أدَّى إلى التهاجر والتباغض، سواء كان ذلك في مسائل الدين أو مسائل الدنيا. الخلاف شرٌّ، إذا اتُّخذ وسيلةً للتحلل من أحكام الشريعة والعبث بالدين، ونقض الثوابت.

الخلاف شر إذا كان مفضياً إلى فُرقة الأمة، ومفضياً إلى هتك حرمة الجماعة، فالجماعة رحمة كما جاء في مسند الإمام أحمد من حديث النعمان بن بشير بإسناد حسن: ((الجماعة رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ))، فينبغي لنا أن نسعى إلى تحقيق الجماعة، والحفاظ على هذه الرحمة...

واستمع إلى هذا المثال الذي يوضح لنا فهم الصحابة لشر الخلاف: صَلَّى عبد الله بن مسعود خلف عثمان بن عفان رضي الله عنهما في الحج وقت خلافة عثمان، وكان عثمان في يوم عرفة يصلي كما صلى النبي ﷺ وأبو بكر وعمر، يصلي ركعتين الظهر والعصر في عرفة، إلا أنه اجتهد في سنة من السنوات فرأى أن يُتم الصلاة فصلى الظهر أربعاً والعصر أربعاً فصلى خلفه ابن مسعود، وكان قد قال: (إن ذلك خلاف سنة النبي ﷺ) فقال له الناس: يا عبد الله! تقول هذا خلاف السنة ثم تصلي خلف عثمان وقد أتم؟ فقال رحمه الله: الخلاف شر، الخلاف شر، الخلاف شر... فهذا الفقه الدقيق في جمع الأمة وعدم خرق جماعتها، لأجل اختلافات فقهية أو آراء اجتهادية، هذا الفقه ينبغي أن يشاع بين جماعة المسلمين، ما دام أنه في هذه المخالفة شر وفساد وفرقة...

ولعلي أوجز حكم القبلة في مسجد السلام: انطلاقاً مما رواه الإمام الترمذي رحمه الله تعالى بسند حسن ((ما بين المشرق والمغرب قِبْلَةٌ)) ففرضنا التوجه إلى جهة الكعبة لا عينها، على الراجح من أقوال أهل العلم؛ لقول النبي ﷺ: (مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ) فعن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- قال: كيف يخطئ الرجل الصلاة وما بين المشرق والمغرب قبلة

وقال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع: وبهذا نعرف أن الأمر واسع، فلو رأينا شخصاً يصلي منحرفاً عن محاذاة القبلة، فإن ذلك لا يضر؛ لأنه متجه إلى الجهة، وهذا فرضه.

قال ابن عبد البر في التمهيد: السعة في القبلة لأهل الآفاق مبسطة مسنونة، وهذا معنى قوله ﷺ:
(مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ)

وقال في الاستذكار: قال الأثرم: سألت أحمد بن حنبل عن قول عمر: ما بين المشرق والمغرب قبلة؟ فقال:
هذا في كل البلدان، إلا مكة عند البيت، فإنه إن زال عنه شيء - وإن قل -، فقد ترك القبلة. قال: وليس
كذلك قبلة البلدان. ثم قال: هذا المشرق - وأشار بيده -، وهذا المغرب، - وأشار بيده - وما بينهما قبلة.
قلت له: فصلاة من صلى بينهما جائزة؟ قال: نعم، وينبغي أن يتحرى الوسط... ومثل ذلك نقله ابن حجر
العسقلاني عن ابن رجب الحنبلي في فتح الباري.... ونقل عنه جماعة كثيرون هذا المعنى.

وإني ليزداد عجبي وأنا أرى نفس المنحرف يصلي غير منحرف للقبلة في الفريضة، ويصلي منحرفاً في
النافلة، فإن كانت صلاته في الفرض صحيحة فما الدافع الذي يدفعه ليخالف قبلة الفريضة والتي هي أهم
من النافلة دون أدنى مقارنة بينهما...

أيها الإخوة سألني بعض الأطفال الذين يقرأون القرآن بين المغرب والعشاء: عمو الشيخ لماذا بعض
المصلين يصلون بشكل منحرف والبعض بشكل مستقيم؟

فوقفت أتأمل أي صورة قبيحة طبعناها في ذهن هذا الطفل عن أمة فشلت بالاتفاق حتى على قبلة
واحدة!!! عن أمة تحتاج لمتر واحد في مسجد انحرفت فيه القبلة لكن هذا الانحراف يدخل في دائرة
التوسعة على الأمة ورفع الحرج عنها... هذه كلمة ناصح مشفق على أمته، ليس لي ولا للقيمين على المسجد
فرض الرأي لكن أردت النصح وتبيان الحكم وأن نكون مرنين لاسيما عندما ينعكس اختلافنا صورة سيئة
في أذهان الجيل الصاعد...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين